سعيد بن المسيب

مواقف ومواعظ
من حياة التابعين

[6]

سعيد بن المسيب

سعيد بن المسيب

نسبه:

هو: سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي.

كنيته:

يكنى أبا محمد.

مولده:

ولد سعيد بن المسيب لسنتين خلتا من خلافة عمر بن الخطاب.

كان من الممتحنين امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم.

كان صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة.

كان كاسمه بالطاعات سعيدًا، ومن المعاصي والجهالات بعيدًا.

نور الله خرج من نوركم:

خرج سعيد بن المسيب في ليلة مطر وطين وظلمة منصرفًا من المسجد بعد أن فرغ من صلاة العشاء، فأدركه عبد الرحمن بن عمرو بن سهل ومعه غلام معه سراج فسلم عليه عبد الرحمن ومشيا يتحدثان حتى حاذى عبد الرحمن بداره انصرت إليها وقال لغلامه:

- امش مع أبي محمد بالسراج.

فقال سعيد بن المسيب:

- لا حاجة لي بنوركم نور الله خير من نوركم.

كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع:

جاء رجل إلى سعيد بن المسيب وهو مريض فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس.

أبو محمد وحدثه فقال الرجل:

- وددت أنك لم تعنت تتعن.

قال سعيد بن المسيب:

- كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأما مضطجع.

الشجرة وسجدة التلاوه:

قال ابن حرملة:

حفظت صلاة سعيد بن المسبب وعمله بالنهار، فسالت مولاه بُرْد عن عمله بالليل فقال:

كان لا يدع أن يقرأ بصاد - سور ة ص - والقر آن كل ليلة فس ألته عن ذلك فقال:

- إن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة ف قرأ بصاد فلما مر بالسجدة سجد وسجدت معه - الشجرة -.

فسمعها نقول:

- اللهم أعطني بهذه السجدة أجرًا وضع عني بها و زرًا وارزقني بها شكرًا، وتقبلها كما تقبلتها من عبدك داود.

الحجاج بن يوسف الثقفي وسعيد بن المسيب:

كان الحجاج بن يوسف أمير العراق يدين بفلسفة القوة والإرهاب، فليس همه أن يستميل ال قلوب بمعسول ال قول وجميل الفعل إذ أن ظروف حياته وحوادث عصره و فتن بيئته قد جعلته لا يعبأ بمهادنة واستمالة، وإنما يرى في الطغيان سبيل الهدوء والاستقرار، وقد اختاره أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ليقمع ويرد دع لا ليؤلف ويقرب، ووجد بعد التجربة أن القمع يدنى من مآربه، ويرفع من مكانته لدى أمير المؤمنين فتمادى فيه تماد يٌ جائرً ا، ووطن عزمه على أن يقوم السيف بواجب الطاعة وال خضوع مهما امتلأت منه القلوب رعبًا

وموجدة وغيظًا وغضبًا.

صلى الحجاج بن يوسف وأبوه بجنب سعيد بن المسيب مرة - قبل أن يلي الحجاج شيئًا من الأمر - فجعل يرفع قبل الأمام ويقع قبل الإمام في السجود، فلما سلم أخذ أبو محمد بطرف رداء الحجاج وقال له:

- يا سارق يا خائن: تصلى هذه الصلاة؟ لقد همت أن أضرب بهذا النعل وجهك.

فلم يرد عليه الحجاج.

ثم مضى الحجاج إلى الحج ثم رجع فعاد إلى الشام ثم جاء نائبًا على الحجاز.

ولما قتل عبد الله بن الزبير كر الحجاج راجعًا إلى مدينة رسول الله ﷺ نائبًا عليها، فلما دخل المسجد إذ مجلس سعيد بن المسيب فقصده، فخشي الناس على أبي محمد منه.

فجاء الحجاج وجلس بين يدي - أمام - سعيد بن المسيب وقال له:

- أنت صاحب الكلمات؟

فضرب أبو محمد صدره بيده وقال:

- نعم.

فقال الحجاج بن يوسف:

- فجزاك الله من معلم ومؤدب خيرًا، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك.

ثم قام ومضى.

وكان سعيد بن المسيب معتزلاً الفتنة، فلما كان جابر بن الأسود عامل عبد الله على مدينة رسول الله ﷺ وطلب من أبي محمد البيعة لابن الزبير امتنع سعيد بن المسيب فضرب ستين سوطًا، ولم يتراجع أبو محمد عن موقفه ورأى ذلك هينًا في سبيل الله.

وأمر الحجاج بن يوسف البيعة لعبد الملك بن مروان فامتنع سعيد بن المسيب، فهدده الحجاج بضرب عنقه فلم يتراجع أبو محمد.

وعرض على سعيد بن المسيب واحدة من خصال ثلاث:

أن يقرأ كتاب الوالي على الجمهور - أهل المدينة -.

فيسكت سعيد بن المسيب دون أن يقول:

- لا أو نعم.

أو أن يجلس أبو محمد في بيته فلا ينهض إلى المسجد أيامًا حتى تنتهي بيعة أهل المدينة.

أو ينتقل من مكانه بالمسجد لا يجده رسول عبد الملك بن مروان إذا أتاه.

ورفض أبو محمد هذه العروض الثلاثة، وكان العرض الثالث مندوحة تقيه دون أن تخدش رأيه.

ولكنه وضع نفسه موضع الزعامة الكريمة للمسلم الصادق ليسد كل ثنية يلج بها الباطل مأربه.

وكان سعيد بن المسيب يعلم حقيقة ما ينتظره من عذاب، فما أن أعلن عن مخالفته حتى جرد من ثيابه، وضرب خمسين سوطًا، وطاف به السفهاء في أسواق المدينة وهم يقولون:

- هذا موقف الخزي يوم القيامة.

فيرد عليهم أبو محمد:

- بل فررنا من الخزي بما فعلتموه وفعلناه.

ولما رأى الحجاج موقف أبي محمد كالجبل الشامخ تركه وشأنه.

فقيل لسعيد بن المسيب:

- ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يهجيك ولا يؤذيك؟

قال سعيد بن المسبب:

- والله لا أدرى غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها فلخذت كفًا من حصباء فحصبته بها فقال لي:

- فما زلت أحسن الصلاة.

سعيد بن المسيب وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان:

خطب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ابنة سعيد بن المسيب لابنه الوليد - حين ولاه العهد -.

فلبي سعيد بن المسيب ولم تبهره الدنيا ولم تفتنه بزينتها.

وكان عبد الله بن أبي وداعة شابًا صالحًا متفقهًا في أمور دينه، وكان تلميذًا لأبي محمد ويجالسه، وافتقد الأستاذ تلميذه أيامًا فلما رآه سأله:

- أين كنت؟

قال عبد الله بن وداعة:

- توفيت أهلي - زوجتي - فاشتغلت بها.

فقال سعيد بن المسيب:

- هلا أخبرتنا فنشهدناها - شهدنا جنازتها - ؟

وأراد عبد الله بن أبي وداعة أن ينصرف ولكن أبو محمد أمسك بطرف ردائه وسأله:

- هل استحدثت امرأة؟

قال عبد الله بن أبي وداعة:

- يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

فقال سعيد بن المسيب:

- أنا.

فتساءل التلميذ:

- وتفعل؟

قال الأستاذ:

- نعم.

وحمد أبو محمد الله وصلى على صاحب الخلق العظيم ﷺ وزج ابنته على عبد الله ابن أبي وداعة على درهمين أو ثلاثة ورفض ابن أمير المؤمنين صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

ثم قام عبد الله بن أبي وداعة وهو لا يدري ما يصنع من الفرح؟

ورجع عبد الله بن أبي وداعة إلى داره يفكر ممن يأخذ وممن يستدين؟

ثم صلى المغرب وانصرف إلى داره فأسرج السراج وكان صائمًا فأتى بخبز وزيتًا ليفطر فإذا بابه يقرع فتساءل:

- من هذا؟

قال الطارق:

- سعيد.

ففكر عبد الله بن أبي وداعة في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم يره أربعين سنة إلا بين جدران داره أو في المسجد.

وخرج عبد الله إلى الطارق فإذا به سعيد بن المسيب فلما رآه قال:

- يا أبا محمد: لو أرسلت إلي لأتيتك.

فقال أبو محمد:

- لا أنت أحق أن تؤتى.

فتساءل التلميذ:

- فما بأمر؟

قال الأسدي:

- إنك كنت رجلاً عزبًا فزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك.

فإذا ابنة سعيد بن المسيب قائمة خلفه في طوله.

ثم أخذها بيده! فدفعها بالباب ورده.

وركب الخجل والحياء ابنة سعيد بن المسيب فلم توثق عبد الله بن أبي وداعة من الباب ثم تقدم إلى القصعة التي بها الزيت والخبز فوضعها في ظل السراج لكي لا تراه الزوجة، ثم صعد إلى السطح ونادى الجيران فجاءوا وقالوا:

- ما شأنك؟

فقال عبد الله بن أبي وداعة:

- ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة.

قالوا:

- سعيد بن المسيب زوجك؟

قال عبد الله بن أبي وداعة:

- نعم وهاهي في الدار.

فنزلوا إليها.

وبلغ ذلك أم عبد الله بن أبي وداعة فأقبلت وقالت غاضبة:

- وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام.

فأقام عبد الله بن أبي وداعة ثلاثة أيام، ثم دخل بها فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي من أحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج.

ومكث أبو محمد لا يأتي عبد الله بن أبي وداعةولا يأتيه زوج ابنته.

ولما مر شهر ذهب عبد الله بن أب ي وداعة إليه وهو في حل قته فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يكلمه حتى تفرق الناس من المجلس فتساءل:

- ما حال ه ذا الإنسان؟

قال عبد الله بن أبي وداعة:

- خيرًا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو.

فقال سعيد بن المسبب:

- إن رابك شيء فالعصا.

وانصرف عبد الله بن أبي وداعة إلى دار ه، فبعث سعيد بن المسيب إليه بعشرين ألف درهم.

ولم يزل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يحتال على سعيد بن المسيب حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

لست من حداث أمير المؤمنين:

لما أولى أمير الم ؤمنين عبد الملك بن مروان في موكب الحج عرج على مدينة رسول الله ﷺ وكان من أشد ما ا ستأثر باهتمامه في المدينة حلقات العلم التي تعمر المسجد النبوي الشريف.

فقال مروان بن الحاكم لحاجبه:

- امض إلى مسجد الرسول ﷺ وادع لنا أحد العلماء ليحدثا.

فمضى حاجب أمير المؤمنين إلى المسجد وأجال نظره فيه فلم ير غير حلقة واحدة توسطها رجل مهيب فأشار نحوه بسبابته فلم يتحرك سعيد ابن المسيب، فأتاه الحاجب وقال له:

- ألم تراني أشير إليك؟

قال أبو محمد:

- وما حاجتك؟

فقال له الحاجب:

- استيقظ أمير المؤمنين من قيلولته - نومة الضحى - فقال: انظر هل ترى في المسجد أحدًا من حداثي فلتريني به.

فقال سعيد بن المسيب:

- لست من حداثه.

فقال الحاجب:

- ولكنه يبغي محدثًا يحدثه.

فقال أبو محمد:

- إن من يبغي شيئًا يأتي إليه، وإن في حلقة المسجد متسعًا له إذا كان راغبًا في ذلك والحديث يؤتى إليه ولكنه لا يأتي.

فرجع الحاجب إلى أمير المؤمنين وقال له:

- ما وجدت في المسجد إلا شيخًا أشرت إليه، بإصبعي فلم يقم وقلت له: استيقظ أمير المؤمنين وقال لي: هل ترى أحدًا من حداثي فقال لي: إني لست من حداث أمير المؤمنين.

قال أمير المؤمنين مروان بن الحكم:

- ذلك سعيد بن المسيب دعه.

قالوا عن سعيد بن المسيب:

* قال بُرد مولى سعيد بن المسيب:

- ما نودي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

* قال الأوزاعي:

كانت لسعيد بن المسيب فضيلة لا نعلمها لأحد من التابعين، لم تفته الصلاة في جماعة أربعين سنة عشرين منها لم ينظر في أقفية الناس.

* قال عبد المنعم بن إدريس عن أبيه:

صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة.

* قال أبو هند:

سألت سعيد بن المسيب:

- ما يقطع الصلاة؟

قال أبو محمد:

- الفجور ويسترها التقوى.

* قال عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي:

إن نفس سعيد بن المسيب كانت أهون عليه في ذات الله من نفس ذباب.

* قال يحيى بن سعيد:

إن سعيد بن المسيب كان يقول في مجلسه:

- اللهم سلم سلم.

* قال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ :

كان سعيد بن المسيب يماري - يشك - غلامًا له في ثلثي درهم، وأبطه ابن عمه في أربعة آلاف درهم فلم يرض أن يأخذها.

* قال ابن حرملة:

ما سمعت سعيد بن المسيب سب أحدًا من الأئمة قط إلا أني سمعته يقول:

قاتل الله فلانًا كان أول من غير قضاء رسول الله ﷺ وقد قال النبي

ﷺ : **الولد للفراش وللعاهر الحجر - الرجم - -.**

* قال العلاء بن عبد الكريم:

جلست إلى سعيد بن المسيب فقال:

- إنه قد نُهى عن مجالستي.

قال قتادة بن دعامة:

إنه كان إذا أراد الرجل أن يجالس سعيد بن المسيب قال:

- إنهم قد جلدوني ومنعوا الناس أن يجالسوني.

قال خالد بن حرملة:

ما كان أحد يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن ش يء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

* قال يحيى بن سعيد:

إن سعيد بن المسيب مات وترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار وقال:

- ما تركتها إلا لأصون بها ديني وحسبي.

* قال عمر بن عبد العزيز:

ما كان عالم بالمدينة إلا ي أتيني بعلمه وأوتي بما عند سعيد بن المسيب.

* قال يزيد بن حارم:

كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم.

سعيد بن المسيب وأحاديث الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ :

أسند سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وعمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر، وأبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وأبى سعيد الخدري،

وعقبة بن عامر، وصهيب بن سنان الرومي، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعمرو بن أبي سلمة، وعائشة، وأم سلمة.

ومن مسانيد حديثه:

* حدثنا حبيب بن الحسن عن محمد بن بكر بن حبان عن عمر بن الحصين عن إبراهيم عن عطاء بن يزيد بن عياض عن سعيد بن المسيب عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله ﷺ: **حسن الخلق خلق الله الأعظم** - (رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عمار بن ياسر).

* حدثنا سليمان بن أحمد عن الحسن المنصور الرملي عن المعافى بن سليمان عن حكيم بن نافع عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال:

سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ورب مصل لا أخلاق له عند الله** - (رواه أبو نعيم في الحلية، الحكم).

* حدثنا أبو بكر الطلحي عن أبي حصين محمد بن الحسن الوادعي عن يحيى الحماني عن قيس بن الربيع عم عبد الله بن عمران عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن علي ابن أبي طالب قال لفاطمة:

- ما خير النساء.

قالت:

- أن لا يرين الرجال ولا يرونهم.

فذكره للنبي، فقال:

- **إنما فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني** - (رواه

ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في الحلية).

* حدثنا محمد بن عمر عن محمود بن محمد المر زوي عن أحمد بن يعقوب عن الوليد بن سلمة عن يونس بن يزيد محن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسبب عن عثمان ابن عفان قال:

إن النبي ﷺ قال: **إذا سمع النداء فإنها عزمة من الله** - (رواه أبو نعيم في الحلية عن عثمان).

* حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أحمد بن إسحاق الخشاب الرقي عن رزيق - أبو القاسم المصري - عن الحاكم بن عبد الله الأيلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة قالت:

إن رسول الله ﷺ قال: **إن لكل شيء شرف يتباهون به، وإن بهاء أمتي وشرفها القرآن** - (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا أبو بكر مالك عن عبد الله بن حنبل عن يعقوب بن حميد بن كاسب عن عبد الله بن عبد الله الأمو ي عن الحسن الحر عن يعقوب بن عتبة بن الأخنس عن سعيد بن المسيب قالا:

سعت عمر بن الخطاب يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **من اعتز بالعبيد أذله الله** - (رواه أبو نعيم في الحلية).

* حدثنا محمد بن أحمد عن أحمد بن محمد الرحمن عن يزيد بن هارون عن سفيان ابن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمار بن ياسر قال:

قال رسول الله ﷺ : **من أدخل فرسًا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فهو قمار** - (رواه أبو نعيم في الحلية).

من أقوال سعيد بن المسبب:

قال أبو محمد:

* ما بقى أحد أعلم بقضاء قضاء رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر مني.

* لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

* ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء.

* ما من شيء أخوف عندي من النساء.

* ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل، ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله، وكفى بالمرء إثما أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله.

* من استغنى بالله افتقر إليه الناس.

* إن الدنيا نذالة هي لكل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها بغير حقها، وطلبها بغير وجهها ووضعها في غير سُبلها.

* إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

* من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة.

* ما فاتتني الصلاة في الجماعة منذ أربعين سنة.

* ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

* ما دخل عليَّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها، ولا دخل عليَّ قضاء فرض إلا وأنا إليه مشاق.

* ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة.

* قد بلغت ثمانين سنة وما شيء أخوف عندي من النساء.

* يد الله فوق عباده، فمن رفع نفسه و ضعه الله، ومن وضعها رفعه الله، الناس تحت كفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته.

* لا تقولوا: مصيحف ولا مسيجد ما كان لله فهو عظيم حسن جميل.

* لا خير فيمن لا يحب هذا المال يصل به رحمه، وي ؤدى به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه.

وفاه سعيد بن المسيب:

مات أبو محمد بمدينة رسول الله ﷺ وهو ابن أربع وثمانين سنة.

* * *